منهج البيضاويّ في التفسير

Abdulsalam YOUSSEF / عبدالسلام يوسف *

The Methodology of Al-Baydawi in his Tafsir

Citation/©: Youssef, Abdulsalam, The Methodology of Al-Baydawi in his Tafsir, Artuklu Akademi, 2016/3 (1), 121-147.

Abstract: There is no doubt that those involved in exegesis or Tafsir of the Quran have accumulated within their works numerous sciences which makes their interpretations difficult to follow especially for beginners. Amongst those applying such approach is Imam al-Baydawi, whose *Tafsir* (*Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil*) has engaged with numerous sciences including physical, theological and linguistic. He combined both methodologies of Tafsir; the traditional (*Tafsir bi'l-Mathur*) and the rational (*Tafsir bi'al-rai*) schools, thus only circulating amongst the scholarly elite. This made his book less accessible to the majority of students of knowledge due to his style and rhetoric, thus his Tafsir needed to be simplified; distinguishing its main features through identifying his methodology from all aspects and what made his work unique. This is besides understanding whom he was influenced by as well as his downfalls. This paper sheds light on his person and his exegesis, thus equipping students of knowledge with a "key" that can help them better understand and further study his work.

Keywords: Tafsir, al-Baydawi, methodology, traditional, rational.

Beyzavî'nin Tefsirdeki Metodu

Atıf/©: Youssef, Abdulsalam, Beyzavî'nin Tefsirdeki Metodu, Artuklu Akademi, 2016/3 (1), 121-147.

Öz: Şüphesiz müfessirler, yeni tefsir okuyanların anlamasını zorlaştıracak şekilde, yazdıkları tefsirlerde her çeşit ilme ve bilgiye yer vermişlerdir. Bu müfessirlerden bir tanesi de Beyzavî'dir. *Envâru't-Tenzîl ve esrâru't-te'vîl* adlı tefsiri her türlü aklî, şer'î ve dilsel ilimleri içermekte ve rivayet ile dirayet

* الدكتور، أستاذ مساعد في جامعة أرتوقلو، كلية العلوم الإسلامية

metotlarını birleştirmektedir. İfadelerinin dakikliği, terkiplerinin zorluğu ve edebi üslubunun derinliği, onun sadece ilim erbabı arasında kalmasına ve çoğunlukla ilim talebelerinin ondan uzak durmasına sebep olmaktadır. Bu yüzden söz konusu tefsirde her yönüyle metodu, kimlerden etkilendiği, tefsirin ne ile ön plana çıktığı ve hangi açılardan noksan görülüp tenkit edildiği gibi yönlerden en önemli özelliklerini ortaya çıkaracak şekilde geniş bir tanıtıma ihtiyaç duymaktadır. Bu sebeple tefsir ve tefsir sahibine dair aydınlatıcı malumat veren bu araştırma bir anahtar konumunda ve onun sayesinde ilim talebesi korkmadan ve şüpheye düşmeden tefsirin içine girebilir ve dilediği şekilde ondan istifade edebilir.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Beyzavî, metot, rivayet, dirayet.

مُلَخّص البحث: لا شك أن المشتغلين في التفسير قدأودعوا تفاسيرهم من جميع العلوم والمعارف ما جعلها عصية الفهم على المبتدئين، ومن هؤلاء الإمام البيضاوي، فقد حوى تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) على جميع العلوم العقلية والشرعية والعربية، وقد زاوج بين المنهجيين العلميين ، المأثور والرأي ، ماجعله متداولا بين الخاصة من أهل العلم ، أما الغالبية من طلبة العلم فقد تهيبوه؛ وذلك لدقة عباراته وجزالة تراكيبه وعمق أسلوبه البلاغي؛ لذا كان التفسير بحاجةٍ إلى تعريفٍ مبسط له، يبرز أهم معالمه ، من خلال التعرّف على منهجه من جميع الجوانب، وبماذا تميّز، وبمَن تأثر، ثم ما المآخذ التي وجدت على تفسيره. لذا كان هذا البحث الذي يلقي الأضواء على التفسير وصاحب التفسير ، وهو- البحث - بهذا يُعدّ مفتاحاً له ، يستطيع من خلاله طلبة العلم أن يلجوا فيه وينهلوا ما يشاؤون منه، من غير وجلٍ أو شك .

مفاتيح البحث: التفسير، الإمام البيضاوي ، المنهج، الرواية، الدراية.

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ المحجلين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. فإن علم التفسير يعد من أشرف العلوم وأسماها وذلك لأنه يتعلق بكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه. ولقد بدأ العمل في خدمة هذا الكتاب منذ أن نزلت أولى الآيات وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن هؤلاء الذين شمروا عن ساعد الجد الإمام البيضاوي. ولذا أردت أن أضع بين يدي القراء، ولاسيما المتخصصون في علم التفسير،تعريفاً مختصراً بتفسيره يفي بالغرض إن شاء الله.

وقد قسمت هذا البحث إلى: مقدمةٍ وتمهيدٍ وفصلين وخاتمة، ففي المقدمة بيانٌ بأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وذكر للأبحاث التي سبقته ثم المنهج المتبع فيه. وأما التمهيد فقد جعلته لترجمة البيضاوي، ثم عرّفت بتفسيره وذلك بإعطاء صورةٍ عامةٍ لتفسيره ووصفٍ لمنهجه العام، ثم ذكرت مصادره التي اعتمدها والمآخذ على تفسيره.

وأما الفصل الأول: فقد جعلته في التفسير النقلي للبيضاوي والذي كان أهم مصادره، وهو ما يسمى عند المفسرين بأحسن طرق التفسير من خلال مباحث ثلاثة (التفسير بالقرآن

الكريم، وبالأحاديث الشريفة، وبأقوال الصحابه والتابعين). وأما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن الجانب العقلي، أو التفسير بالرأي، عند البيضاوي، ويشمل: العقائد عند البيضاوي، والتفسير اللغوي والنحوي والبلاغي، ثم القراءات القرآنية، والإسرائيليات، ثم أسباب النزول، ومعرفة

المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأخيراً الفقه وأصوله. ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها.

إن أهمية أي كتاب تكمن في محتواه، وحيث إن البيضاوي قد زاوج بين المنهجين العلميين (المنقول والمعقول) في تفسير كتاب الله، فإن الوقوف عليه يهدف إلى توضيح هذا المنهج والذي لا يتيسر لكل أحد معرفته واستيعابه، وأقصد العامة من أبناء الأمة، وخاصة أن تفسيره يمتاز بقوة مفرداته وجزالة تراكيبه وعمق أسلوبه البلاغي، لذا أردت أن أضع بين يدي القارئ مفتاحاً يستطيع من خلاله الولوج برفق إلى ثنايا التفسير وخباياه فيقرؤه على بصيرةٍ منه ـ المفتاح ـ وهدى.

ولاشك أن البحث سُبق بدراساتٍ مفيدةٍ لكنها جاءت بين مطولةٍ ومقتضبةٍ ولا غنى للباحث من أن يحصل على مختصرٍ بين الاثنين، وأهم المؤَلفات عن تفسير البيضاوي:

– البيضاوي ومنهجه في التفسير للدكتور أحمد علي يوسف. وقد جعل الباحث جل فصوله في الرد على البيضاوي زاعمًا أنه – البيضاوي – خرج عن خط أهل السنة والجماعة، وأنه تأثر بالمعتزلة! لأنه كان مؤولاً في آيات الصفات.

ـ البيضاوي مفسّراً، للدكتور عبدالعزيز حاجي، وهي رسالة ماجستير، تناول فيه الباحث بالأمثلة الكثيرة منهجَ البيضاوي، غير أنه أسرف في ذكرها،ولم يكن من السهل أن يجد القارئ ما يصبو إليه من خلال خلاصةٍ لكل جانب من الجوانب.

وأما المنهج المتبع في البحث: فقد كان استقرائياً ثم تحليلياً، وذلك من خلال تتبع التفسير وقراءته، في مواضع كثيرة جداً، ومن ثم الوصول إلى النتائج التي بني عليها البحث. وكذلك اعتمد البحثُ المنهجَ الوصفي في بعض فصوله.

التمهيد: يتناول ترجمة البيضاوي، وكذلك منهجه العام، وأهم مصادره، والمآخذ عليه.

اسمه: هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي[1].ولد في مدينة البيضاء التابعة لمنطقة شيراز، والراجح أن ولادته كانت في نهاية القرن السادس، أو بداية القرن السابع الهجري[2].

نسبه: هو البيضاوي، الشيرازي، الشافعي.

فالبيضاوي: نسبةً إلى (بيضاء)[3].وهي مدينةٌ كبيرة من أعمال شيراز، وهي أكبر مدينة باصطخر[4].

والشيرازي: نسبةً إلى شِيراز، بكسر الشين، وهي من أعظم المدن في بلاد فارس، والبيضاء تابعة لها، ولأنه قضى شطراً من حياته في شيراز[5].

وفاته:اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، إلى أقوالٍ كثيرة، فبعضهم قالها معتمداً على دليلٍ، وآخرون اجتهدوا، والراجح أنه سنة (خمسٍ وثمانين وستمائة)، والله أعلم.

تعريف مجمل بتفسير البيضاوي:

يستطيع القارئ ـ بعد دراسةٍ أوليةٍ ـ لهذا التفسير أن يحدّد نوعيته، كما درج العلماء في تصنيف التفاسير إلى مأثورٍ ورأيٍ، فالبيضاوي جمع بين المأثور من المصادر إلى جانب الرأي، حيث مزج بينهما جميعاً، وكانت مصادر ذينك المنهجين تسير جنباً إلى جنب، في صورةٍ موحدةٍ محكمةٍ لتصب في مجرى معاني الآي القرآني، كل هذا بعد أن تسلح البيضاوي بتلك الضوابط التي وضعها العلماء، والشروط التي ألزموا بها كل من يتعاطى

[1] ينظر في ترجمته:الصفدي ، صلاح الدين ، الوافي بالوفيات ، اعتناء :هلموت رتير وآخرين.شتوتغارت ، دار فوانزشتايزفيسبادن ، ط 1962 ج 206/17، السبكي ،طبقات الشافعية الكبرى:ت: محمود الطناحي ود. عبدالفتاح الحلو ،ط2 ، القاهرة ، دار هجر ، 1992 ، ج 157/8، ابن شاكر الكتبي ،عيون التواريخ: ت : حسام الدين المقدسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 1980 ،ج (21) عن الغاية القصوى ، للبيضاوي، ت : علي القرداغي، القاهرة ، دار النصر، ط 1982 ،المقدمة: ص51،السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ت : محمد إبراهيم ، ط عيسى الحلبي (د. ت) ،خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت / دار الفكر ، 1982 ، ج 186/1-190، لشهاب الخفاجي حاشية على تفسير البيضاوي ، المسمى (عناية القاضي وكفاية الراضي ، بيروت ، دار صادر ، (د. ت) ج3/1، ، الذهبي محمد حسين ،التفسير والمفسرون : ، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ج 195/1.

[2] ينظر: البيضاوي ،الغاية القصوى، المقدمة: 54/1. وذكر بروكلمان في مادة (albaidaoi) بدائرة المعارف الإسلامية: (603/2) أنه ولد سنة (623هـ)، ولم يصرح بالمصدر الذي نقل عنه، علماً أنه لم يذكر تاريخاً لمولده في (تاريخ الأدب العربي)، وحتى النسخة الصادرة بالانجليزية (دائرة المعارف) لم يذكر هذا التاريخ، وذكرها في الطبعة الصادرة بالفرنسية.
ينظر:البيضاوي ، طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، ت : عباس سليمان ،ط1 ،القاهرة ، المكتبة الأزهرية ، 2007 ،مقدمة المحقق: ص8.

[3] ينظر: السيوطي ،لب الألباب في تحرير الأنساب ، ت : محمد عبدالعزيز ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1991 ، ج 160/1.

[4] كان اسمها في أيام الفرس (دراسفيد) فعرّبت بالمعنى وسميت بذلك، لأن لها قلعة بيضاء. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،بيروت ، دار صادر ، ط 1977 ، ج 529/1، ، صفي الدين البغدادي ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ت : علي البجاوي،ط1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1954 ، ج 824/2.

[5] ينظر: السبكي ،الطبقات الكبرى 96/4، السبكي ،طبقات الشافعية: 236/1، دائرة المعارف:5 /769

كتاب الله عز وجل، فأجادها وأتقن استعمالها، وسار وفق قوانين اللغة، غير داعٍ إلى بدعةٍ أو هوىً، فخرج عن كونه مفسراً بالرأي المذموم... لذا عُدَّ تفسيره من: التفسير بالرأي المحمود، وقد جاء هذا النعت من باب التغليب فحسب، وإلا فمصادر المأثور عنده كثيرة.

ويعد تفسير البيضاوي من التفاسير المتوسطة الحجم، فهو ليس بالقصير المختصر، ولا بالطويل المملّ.

وقد افتتح ـ رحمه الله ـ تفسيره ـ بعد المقدمة ـ بسورة الفاتحة، واختتمه بسورة الناس ـ حسب الترتيب المصحفي ـ. وهو لم يرقّم الآيات التي تناولها، ولم يلتزم بإثباتِ قراءةٍ معنية في المتن، أقصد السور التي تناولها، بل كان يثبت قراءة الأكثرية. والقراء عنده ثمانية، أقصد السبعة المتفق عليهم إضافةً إلى قراءة يعقوب الحضرمي. ولم يتناول البيضاوي كل كلمات القرآن بالتفسير، أي أنه يختار منها ما يراه ـ هو ـ أنه بحاجة إلى توضيح وبيان، لكنه لم يدعْ إلا تلك التي يستوي في معرفتها الجميع. فلم ترد كلمة في القرآن، وفي النفس شوق وتوقٌ إلى معرفة معناها، إلا ورآها في الأنوار مفسَّرةً مبيَّنة.

ـ البيضاوي يجزّئ الآية إلى كلماتٍ، أو جملٍ، وأحياناً الآية كاملةً، أو أكثر من آية، ليتناولها بعد ذلك. ولم يحدد لنا منهجيته في تفسير الآيات، بِمَ يبدأ، وبم يختم. وقد وضع العلماء منهجاً، أوجبوا على المفسر أن يلتزمه، ليأتي تفسيره غايةً في الحسن والجمال والترتيب. وقد ورد عن الزركشي قوله: "قد جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه: أيها أَوْلى بالبداءة به، بتقدم السبب على المسبب، أو بالمناسبة لأنها المصحّحة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول. وأما عن فضائل السور ـ والكلام للزركشي ـ فقد جرت عادة المفسرين، ممّن ذكر فضائل القرآن، أن يذكرها في أول كلّ سورةٍ؛ لما فيها من الترغيب، والحث على حفظها، إلا الزمخشري، فإنه يذكرها في أواخرها"[6].

وبناء على ما سبق... فإن البيضاوي ـ رحمه الله ـ لم يَسِر على تلك الطريقة، بل تحرّر من قيودها وانتهج نهجاً مبايناً، بل كانت تختلف من موضعٍ لأخر، ولتوضيح هذا المنهج أقول:

ـ إنه ـأحياناً ـ يقدم شيئاً، وأخرى يؤخّره.

ـ إنه قلّما ترد آيةٌ، ويتناولها من جميع الجوانب، كما ورد عند الزركشي آنفاً، بل يذكر بعضها ويُعرض عن بعض. لكن الغالب في منهجه أنه:

---

[6] الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ، ت : يوسف المرعشلي وآخرون ، بيروت ، دار المعرفة ، ط2 / 1994 ، ج 129/1.

- إذا كانت السورة في بدايتها، فإنه يذكر اسمها، وهل هي مكية أو مدنية، وما الآيات المستثناة من المجموع الكلي، يقولها بصيغة المبني للمجهول، ثم يذكر عدد آياتها ويبيّن إن كان مختلفاً فيه، وبعدها يشرع فيجزّئ الآية إلى كلماتٍ ليتناولها بمفردها، أو جُملٍ، حيث يتعرض لمعنى الكلمة، من خلال إرجاعها إلى أصلها الاشتقاقيّ، مع ما يتبَع ذلك من تغييرٍ أو تبديلٍ أو إدغام في بعض الحروف، ثم يذكر القراءات الثمانية، وكذلك يردفها بالشاذة، مع التوجيه الإعرابي في الأعم الأغلب، ويذكر سبب النزول، إن كان لها سبب، ثم يتناول الآية فقهياً، إن كانت تشتمل على أحكامٍ فقهية، فيختصر ويوجز مع انتصاره للمذهب الشافعي، من غير أدلةٍ تفصيليةٍ. وأعود فأقول: قلّما رأينا في آيةٍ واحدةٍ كل هذه المعالجة الشاملة، بل تختلف من موضعٍ لآخر...

فعند تفسيره لسورة (المزمّل) قال: مكيةٌ وآيها تسع عشرة أو عشرون. قال: (يا أيها المزّمل) أصله: المتزمل، مِن: تزمل بثيابه، إذا تلفّف بها، فأدغم التاء في الزاي، وقد قرئ به. وبـ (المزمَل) مفتوحة الميم ومكسورها، أي: الذي زمّله غيره، أو زمّل نفسه، سُمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجيناً لما كان عليه، فإنه كان نائماً أو مرتعداً مما دهشه من بدْء الوحي متزملاً في قطيفةٍ، أو تحسينا له إذ روي أنه - عليه السلام - كان يصلي مُتلففاً بمرط على عائشة رضي الله عنها فنزلت، أو تشبيهاً له في تثاقله بالمتزمل، لأنه لم يتمرن بعد في قيام الليل، أو من: تزمَل الزملُ إذا تحمل الحمل، أي: الذي تحمل أعباء النبوة.[7]

- وهو يختم تفسير كلّ سورة بما ورد في فضلها من الحديث الموضوع المعروف.[8]

وأما بالنسبة إلى كيفية استشهاده بالحديث الشريف وأقوال الصحابة والتابعين فقد أورد الأحاديث مجردةً عن الأسانيد، بخلاف بعض التفاسير التي روت الأحاديث مسندةً (كالطبري وابن أبي حاتم وابن كثير)، أو التي ذكرت الإسناد في بداية التفسير (كالبغوي) مثلاً، حتى يقف القارئ على درايةٍ من مروياته. ولم يذكر لنا اسم الراوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نادراً، ويأتي في مقدمتهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين. وكذلك لم يخرّج لنا تلك الأحاديث، ولم يذكر مصدراً من المصادر الحديثية إلا نادراً، فيوردها مجردةً عن العَزْو، وما أورده من الأحاديث الكثيرة، فإنما هو نقل عن الزمخشري وغيره من المفسرين. ولم يحكم على الأحاديث إلا نادراً جداً، ولم يقم بدراسةٍ للسند أو المتن، أو أن يذكر قولاً لأحد الأئمة

---

7 عند تفسيره لسورة المزمل.

8 قال الحافظ (في الكافي الشاف ص63 رقم 18) : أخرجه الثعلبي من حديث أبي بن كعب بتمامه ، وفيه : عصمة ، وهو متهم
الكذب.ينظر :ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل 484/8)، وحكم ابن الجوزي في موضوعاته (239/1)بوضعه239/1.

المتخصصين. وأحياناً يُدخل بعض الأحاديث في بعض، حتى لَيُخَيّلُ إلى القارئ أنه حديث واحد. وأحياناً كان يختصر الحديث، ويكتفي منه بموضع الشاهد، أي لا يسوقه بطوله. وتارةً يذكر الحديث الصحيح ـ المتفق عليه ـ بصيغة التضعيف، ويروي الضعيف بصيغة الجزم!!

فمثلا عند قوله تعالى ((ماكان لنبيٍّ أن يكونَ له أسرى حتى يثخنَ في الأرض...))(الأنفال:67) ذكر روايةً وهي في الأصل روايتان مع ما بينهما من تفاوت في الحكم... يقول: روي أنه، الرسول، أتي يوم بدرٍ بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل، فاستشار فيهم فقال أبوبكر: قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فديةً تقوي بها أصحابك، وقال عمر رضي الله عنه: اضرب أعناقهم؛ فإنهم أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء، مكني من فلان، لنسيبٍ له، ومكن علياً من عقيل وحمزة من أخويهما، فنضرب أعناقهم، فلم يهوَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن الله ليلين قلوب رجالٍ حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجالٍ حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مَثَلَك يا أبا بكرٍ مَثَل إبراهيم قال: ((فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيمٌ)) (إبراهيم: 36) ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ((ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا)) (نوح: 26) فخيّر أصحابه فأخذوا الفداء، فنزلت، فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال: يارسول الله أخبرني فإن أجد بكاءً بكيت وإلا تباكيت، فقال: ابك على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة، لشجرةٍ قريبةٍ. (انتهى)[9]. وهو لا يذكر إذا كان للحديث طرقٌ وشواهد يتقوى بها. ويستشهد بالأحاديث الضعيفة، والشديدة الضعف، وحتى الموضوعة[10]، وهي الأحاديث التي كان يختتم بها تفسير كل السور، مقتفياً في ذلك أثر الزمخشري والثعلبي، رغم أن العلماء أجمعوا على وضع تلك الأحاديث.

وكذلك لا يسمي الصحابة رضوان الله عليهم إلا نادراً، ويأتي في مقدمة هؤلاء علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم. وعندما يذكر أقوالهم، فإنه يصدرها

---

9 وهذه الرواية التي ساقها البيضاوي هي : حديثان ، الأول إلى قوله (ومثلك ياعمر.....) والثاني: فخير أصحابه فأخذوا الفداء فدخل عمر..... فالأول أخرجه الترمذي في كتاب : الجهاد ، باب : ماجاء في المشورة 371/5 (1714)قال :وفي الباب عن عمر وأبي أيوب وأنس وأبي هريرة ، وهذا حديث حسن وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه – ابن مسعود ـ ، وهذا كما ترى منقطع ، ولذا قال الحافظ (الكافي الشاف 184/7) : رجاله ثقاتٌ إلا أنه منقطع.....إذن الإسناد ضعيف – لانقطاعه – لكن لأكثره شواهد ، والوهن فقط في قوله : (مثلك يا عمر) فهذا منكر. والثاني أخرجه مسلم وغيره من حديث ابن عباسٍ عن عمر في أثناء خبر مطوّل ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ج 1383/3 (58/ 1763) وهذا، والله أعلم، دليل على عدم اهتمامه بهذا المصدر الرافد.

10 كما جاء عند المناوب في الفتح السماوي في عدد الأحاديث الواردة عنده مابين المرفوع والموقوف..منها القولية حوالي خمسمائة وستين حديثا والاحاديث الفعليه حوالي مائة وتسعين حديثا ، والآثار الموثوفة حوالي ثلاث مائة وخمسين حديثا..وقال ابن حجر (الكافي الشاف ص 63 رقم 18 عن الحديث الذي ذكره بعض المفسرين نهاية تفسير كل سورة : أخرجه الثعلبي من حديث أبي بن كعب بتمامه ، وفيه عصمة وهو متهم بالكذب.ابن أبي حاتم(الجرح والتعديل 8/ 484) ، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع (الموضوعات 1/ 239).

بصيغة المبني للمجهول، وكان في الأغلب يَعرف القائل، وذلك بالرجوع إلى التفاسير المتقدمة، كالطبري وابن أبي حاتم والبغوي.

مصادره من كتب التفسير:

يُعَدُّ البيضاوي من المتأخرين - إلى حدٍّ ما - بين المفسرين، أقصد أنه سُبِقَ بأسماء كبيرة في التفسير، لذا فقد أفاد منهم، واعتمد عليهم كثيراً، ونقل عنهم أقوالهم وما أودعوه تفاسيرهم، فكل الذين اشتغلوا بخدمة كتاب الله، وُجدت أقوالهم في تفسير البيضاوي، ابتداءً من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم - وانتهاءً بمن تقدموه بفترةٍ وجيزة، مروراً بالمفسرين الكبار واللّغويين والنّحويين وأصحاب المعاني والمتكلّمين وغيرهم ممن لهم نصيبٌ في خدمة هذا التفسير، إلا أن البيضاوي - رحمه الله - لم يرجع إليهم جميعاً في مصنفاتهم، بل كانت أمامه بعض المصادر المباشرة، أخذ عنها، وهؤلاء بدورهم أودعوا تفاسيرهم أقوال السابقين، وجاء تفسير الزمخشري والرازي في مقدمة مصادر البيضاوي، فقد أكثر عنهما النقل، ومن جوانب مختلفة، وجاء تفسير آخر أقل اعتماداً عند البيضاوي، وهو (جامع التفسير) للراغب الأصفهاني. وهو لايذكر أسماء من أخذ عنهم، بل اكتفى في المقدمة بأنه أخذ عن أماثل المحققين وأفاضل المتأخرين، وهو يقصد هؤلاء الثلاثة كما سبق، ولعل الداعي إلى ذلك: أنه لم يُرد أنْ يصبغ تفسيره بصبغة غيره، إذا أراد ذكر أسمائهم عند كل اقتباسٍ أو اعتماد - وهو كثير عنده -، أو أنّه اعتقد أن الأمر واضح للقراء... ولذا عرض تلك الأقوال بروح البيضاوي ونَفَسه المعتدل الهادئ، بعد أن اختمرت وتمخضت لوناً جديداً، فتبناها وأوردها، وكأنه أول القائلين بها.

أما الجوانب التي أفاد منها البيضاوي من كلِّ تفسير، فيقول صاحب كشف الظنون، بعد أن أثنى عليه... (لخّص فيه ما في الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات)[11].

وهذا وصف دقيقٌ لمحتوى تفسيره، على الرغم من أنه أخذ عن بعضها في غير هذه الجوانب. وبعد... فهذه الصورة العامة لطريقة البيضاوي وعمله في تفسيره، سجلتها بعد أن منّ الله عليّ بدراسة جلّ ما أودعه تفسيره، ولم أعتمد قول غيري، فهي أمانة، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في وضع ما يفيد القارئ الكريم ليقرأه على بيّنةٍ من أمره - البيضاوي -

بعض المآخذ على هذاالتفسير:

[11] خليفة حاجي ،كشف الظنون 1/ 187.

لا يعزب عن البال أن شيخنا البيضاوي إنسانٌ، يخطئ ويصيب، فليس معصوماً عن الخطأ، ولم يدّعِ ذلك. وأن تفسيراً كبيراً مثل (أنوار التنزيل) حيث أودع فيه صاحبه من جميع العلوم والفنون، وخاض في المسائل الكثيرة، لا بد أن يقع في لحظةٍ من اللحظات في ما لا يرضاه العلماء الآخرون، وهذه المآخذ - أراها - ترتقي بتفسير البيضاوي، وتبرِّئُ ساحته من تناول تفسيره، فهي عبارة عن إشاراتٍ للقارئ تنبّهه إلى أماكن يجب أن يأخذ حِذره منها، ليس إلا، وهي:

1) متابعته للزمخشري في بعض القضايا الاعتزالية، وخروجه عن خط أهل السنة والجماعة[12].
2) وكذلك متابعته إياه في ذكر الحديث الموضوع في نهاية كل سورة، رغم أن العلماء أجمعوا على وضعه.
3) موافقته للنحاة في تضعيف بعض القراءات المتواترة أحياناً[13]، وعدم وقوفه أمام الرواية وأنها- الرواية- هي الحجة على النحو لا العكس.
4) عدم وقوفه عند بعض القضايا المهمة لتحقيقها وتحريرها، بل مرّ عليها مروراً سريعاً، وبخاصة علم الناسخ والمنسوخ[14].
5) عدم اهتمامه بعلم الحديث روايةً ولا درايةً، على الرغم من أنه أكثر منه في التفسير كمصدرٍ نقلي.

الفصل الأول: التفسير الأثري عند البيضاوي

أولاً: القرآن الكريم

غالباً ما يستشهد بالقرآن ليعضد به المعنى الذي ذهب إليه، فيكون أدعى للقبول والترجيح.

وكذلك يكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم لتأييد وجهٍ إعرابيٍّ بين الوجوه الكثيرة.

---

[12] وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ((الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)) (البقرة : 275) قال : إلا قياماً كقيام المصروع ، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيُصرع.!ثم يفسر المس بالجنون ويقول : وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمس الرجل فيختلط عقله !! وهو ماذهب إليه الزمخشري تماماً.

[13] البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 353 عند تفسيره لقوله تعالى ((قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين)) (الأعراف 111)

[14] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 436 عند تفسيره لقوله تعالى ((إن الله لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون))(يونس 44).

فعند قوله تعالى: ((التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)) [التوبة: 112] قال: (التائبون) رفع على المدح، أي: هم التائبون، والمراد بهم المؤمنون المذكورون. ويجوز أن يكون مبتدأً خبره محذوف، تقديره: التائبون من أهل الجنة، وإن لم يجاهدوا لقوله تعالى: ((لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلاً وعد الله الحسنى))[15] [النساء: 95].

- وتارةً يستشهد بالقرآن، ليؤيد قراءةً شاذةً، كان البيضاوي قد استدل بها – بالشاذة - لغرض من الأغراض التفسيرية، ليبيّن حجة الشاذة[16].

وعموماً... فإن البيضاوي - وهو يفسر كلام الله - لم تَغِبْ عن باله تلك الآيات التي كان يراها توضيحاً وتفسيراً لما هو بصدد تفسيره.

ثانياً: الحديث الشريف

لا شك أن البيضاوي رحمه الله قد أغنى تفسيره بما يبيّنه وهو -البيان- مهمة السنة الشريفة، وقد وُفِّقَ في خدمة كتاب الله بإفادته من هذا المصدر إلى حدٍّ ما، وذلك من خلال جوانب عدة، منها: أنهأحياناً يفسّر بالحديث ما المراد من الآية.

فعند قوله تعالى: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل...)) [الأنفال:60] قال: من كل ما يتقوّى به في الحرب، وعن عقبة بن عامر: سمعته صلى الله عليه وسلميقولعلى المنبر: «أَلَا إنَّ القوّة الرمي» قالها ثلاثا[17].

- وإذا كان الموضع مهمّاً -كما يرى البيضاوي- فإنه يأتي بأكثر من حديث.

فعند قوله((....والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذابٍ أليمٍ)) [التوبة: 34]. قال: ويدل عليه أنّه لما نزل كَبُر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنَّ الله لم يفرض الزكاةَ إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما أُدِّيَ زكاتُه فليس بكنز» أي: بكنز أوعد عليه، فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ترك صفراءَ أو بيضاء كُوِيَ بها» ونحوه فالمراد منها: ما لم يؤدِّ حقّها لقولهصلى الله عليه وسلم فيما أورده الشيخان مروياً عن أبي هريرة -رضي الله عنه-«ما من صاحب

---

[15] البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ط1 / 2003 ، ج422/1 .

[16] انظر على سبيل المثال تفسيره للآية (60) من سورة يونس ، وللآية (105) من الأعراف.

ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائحُ من نار، فيُكْوى بها جبينُه وجنبُه وظهرُه»[18].

ولا يخفى أن في هذا الموضع مثالاً واضحاً على ما يسمّى بتأويل مختلف الحديث، وهذا أيضاً من اهتمامات البيضاوي.

هذا بالإضافة إلى جوانب أخرى كان للحديث الشريف أهميته عند البيضاوي.

ثالثاً: أقوال الصحابة والتابعين:

وقد أغنى رحمه الله تفسيره بأقوالهم ويتمثل عمله في:

أنه يأتي بأقوالهم - في الغالب- ليبيّن تفسير الآية، ويزيدها وضوحاً.

- وهو عندما يعالج المفردة القرآنية ومعناها، فإنه يبدأ بقول الصحابي الذي فسر معنى الكلمة إن وجد.

فعند قوله تعالى ((كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولاذمة)) [التوبة:8]. قال:... "(إلاً) حِلفاً، وقيل: قرابةً"[19].

الفصل الثاني: المنهج العقلي عند البيضاوي

العقائد عند البيضاوي:

يعد البيضاوي أحد كبار علماء المدرسة الأشعرية. ولقد ظهرت خلفيته العَقَديّة في تفسيره أيّما ظهور، فلا يكاد يمرّ بآيةٍ من الآيات التي تمس جوهر العقيدة إلا وتناولها من خلال منهج الأشاعرة. وهو لا يفتأ يردّ على المخالفين، المنكرين للألوهية تارةً، والمنحرفين من الفرق الضالّة تارةً أخرى. فليس الكلام عن العقائد يأتي عرضاً في تفسيره، أو أمراً ثانوياً يمر عليه مروراً، بل جعله ركناً ركيناً، وأساساً رصيناً أقام عليه بناء تفسيره، فالقارئ لتفسيره يستطيع أن يعدّه كتاباً كاملاً - من خلال تفسيره لتلك الآيات - في العقيدة الإسلامية ابتداءً بما يتعلق بالإلهيّات، وانتهاءً بآخر قضايا العقيدة، مروراً بالنبوّات والمعاد... وغيرها.

لقد ردّ على الفلاسفة والملاحدة بالبراهين المنطقية والحجج العقلية من خلال تعاطيه لعلم الكلام[20]. فعند قوله تعالى ((فلما جن عليه الليل رءا كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا

---

17 البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 389.

18 البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 403.

19 البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل 396/1.

20 انظر :الإيجي عبدالرحمن ، المواقف في علم الكلام ، دمشق ، مكتبة سعدالدين (د. ت) ص7 ،ابن خلدون ، المقدمة ، ت : أبو مازن المصري كمال فهمي ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ط 1998 ، ج 1/ 382.

أحب الآفلين)) [الأنعام: 76]. قال:... فأراد أن ينبّههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحقّ من طريق النظر والاستدلال... والكوكب كان الزُّهَرة أو المشتري، وقوله: (هذا ربي) على سبيل الوضع فإنّ المستدل على فساد قولٍ يحكيه على ما يقوله الخصم ثمّ يكرّ عليه بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال، وإنَّما قاله زمان مراهقته أو أوّلَ أوان بلوغه. أي: غاب، فضلاً عن عبادتهم، فإنّ الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية.[21].

وكذلك تصدّى لهجمات الفرق المنحرفة، والتي شغلت حيّزاً في ساحة الفكر الإسلامي، كالمعتزلة والكرّامية والحشوية وغيرهم، لذا تسلّح - رحمه الله - في الردّ عليهم بعلم الكلام، ومن خلاله أثبت قواعد الدين وعقائده.

وأما سبب إيداعه تلك العلوم في تفسيره، فعذره أنه عاش في بيئةٍ مليئةٍ بالنزاعات الفكرية والفلسفية، حيث كان الفلاسفة والملاحدة وأتباع الفرق المنحرفة يصولون ويجولون، ويشكّكون الناس في عقائدهم[22]. لذا أخذ البيضاوي على عاتقه بيان إثبات العقيدة الصحيحة، التي تنطلق من القرآن وتتفق معه، فهو إذْ يدافع عن تلك العقيدة، فإنما يجمع بين سلاحي النقل والعقل، كل ذلك بأسلوبٍ علميٍّ هادئ، فيردّ عليهم ردّاً مستنداً على الحجة والبرهان، ليبدّد أوهام تأويلاتهم، ويضعضع أركانهم.

وأهم القضايا (الأصول) التي عالجها:

أولاً: الإلهيات: فعند قوله تعالى: ((وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيءٍ فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجنات من أعنابٍ والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون)) [**الأنعام: 99**] يقول: بعد تفسير الآية من خلال المعنى العام والأوجه الإعرابية والقراءات القرآنية...: أي: لآياتٍ دالةٍ على وجود القادر الحكيم وتوحيده, فإنّ حدوث الأجناس المختلفة والأنواع المتفنّنة من أصل واحد، ونقلها من حال إلى حال، لا يكون إلا بإحداث قادرٍ يعلم تفاصيلها ويُرجّح ما تقتضيه حكمته ممّا يمكن من أحوالها، ولا يعوقه عن فعله نِدٌّ يعارضه أو ضدٌّ يعانده[23].

وأما على الجبهة الأخرى، والتي كان البيضاوي لهم بالمرصاد، فيمثله أبناء الفرق المختلفة، كالمعتزلة والكرّامية والشيعة وغيرهم، وكان يرى في المعتزلة الخصم الأول

---

[21] البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 308.
[22] انظر: عبدالحميد محسن :الرازي مفسراً: (رسالة دكتوراه) ، بغداد ، دار الحرية ، ط 1974 ، ص71-72.
[23] البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 313.

للعقيدة الصحيحة، وكونه قد نقل عن الزمخشري -وهو صوت المعتزلة التفسيري- فقد رأينا نصيبهم في الرّدّ أكثر من غيرهم، فكان يتعقب آراءهم وعقائدهم، تارةً بالتصريح باسمهم وأخرى بالتعريض، إلا أنه لم يكن قاسياً عليهم أو متهجماً في منهجه، كما كان الزمخشري يفعل، من خلال نعته لأهل السنة بالمجبرة تارةً، وبمشابهة الكفار تارةً أخرى.

فعند قوله تعالى: ((ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) [يونس: 99]. قال: "... بحيث لا يشذ منهم أحد (جميعا) مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه، وهو دليل على القدرية في أنّه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين، وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة، والتقييد بمشيئة الإلجاء خلاف الظاهر وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار، وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل، فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض عليه"[24].

وهكذا -رحمه الله- كان مدافعاً قوياً في سبيل المحافظة على العقيدة الصحيحة، يرد على الخصم الأول، وهم المعتزلة، فأوهن بناء مذهبهم، وزعزع أركان منهجهم، لتكون الغلبة والنصرة لأهل الحق.

وكذلك ردّ على الثنوية القائلين بقدم النور والظلمة. وعلى الحشوية في قولهم بعدم العصمة للأنبياء.

البيضاوي وآيات الصفات:

البيضاوي كان من جملة متكلمي الأشعرية المؤوّلين للصفات، أي أنه يعدّ من مدرسة الخلف الأشعريين. أمّا الإمام الأشعري، فيقول عن مثل هذه الصفات: "قال: يقول أصحاب الحديث: لسْنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عز وجل، أو جاءت به الرواية (فنقول: وجه بلا كيف، ويدان، وعينان بلا كيف)[25]. وقال أيضاً: أو قال بعضهم [وهو أبو الهذيل]: وجه الله هو الله، وقال غيره: معنى قوله ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)) [الرحمن: 27] ويبقى ربك، من غير أن يكون يثبت وجهاً يقال: إنه هو الله. ولا يقال ذلك فيه"

ومن أهم المواضيع التي عالجها، والتي تتعلّق بصفات الله سبحانه،مسألة الكلام، أهو قديم أم حادث: فعالج هذا الموضوع في غير ما موضعٍ، منتصراً لمذهب أهل السنة

---

[24] البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 446.

[25] الأشعري ، أبو الحسن ،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تصحيح : هلموت رتبرفيسبادين ، ط3 / 1980 ، ج 1/ 217.

والجماعة، وهو أن كلام الله قديم، وهو ههنا يردّ على المعتزلة، في أن كلامه سبحانه وتعالى حادث.

فعند قوله تعالى: ((ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك.....)) [الأعراف: 143]. قال: "... من غير وَسْط كما يكلم الملائكة، وفيما روي أن موسى عليه الصلاة السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة، تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المُحْدثين"[26].ويردّ على المعتزلة في زعمهم أن الحسن والقبح عقليان.

التفسير اللغوي والنحوي والبلاغي:

كان لهذه العلوم الثلاثة النصيب الأكبر من الاهتمام عند البيضاوي، فهي المفتاح الرئيس للوقوف على الكلمة القرآنية وما يتعلق بها من أصلٍ واشتقاق وتوجيهٍ وغيرها، فقد مهر - رحمه الله - في توضيح الكلمة القرآنية أيّما مهارة، ووظّف في سبيل بيانها مصادر وأدواتٍ أخرى.

في مجال اللغة:

لقد خاض البيضاوي في مجال اللغة بثقافته الواسعة وعلمه الغزير خوض مَنْ له قدم راسخة في هذا الفن، فوقف عند أصل الكلمة، واشتقاقها، واستعمالات العرب لها... حتى غدت واضحةً أشد الوضوح.

فعند قوله تعالى ((كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولاذمةً.....)) [التوبة: 8].قال: إلا حِلْفاً.

وقيل: قرابةً، قال حسان:

لَعَمرُك إنّ إلَّك من قريش كإلِّ السَّقْبِ من رَألِ النعام

وقيل: ربوبيةً، ولعله اشتُقَّ للحَلف من الأَل وهو: الجُؤَار، لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا أصواتهم وشهّروه، ثمّ استعير للقرابة لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحِلْف، ثمّ للربوبية والتربية، وقيل: اشتقاقه من: أَلَّلَ الشيء إذا حدَّدَه، أو من: آل البرق إذا لمع، وقيل: إنّه عبري بمعنى الإله، لأنّه قرئ (إيلاً) كجبرئل وجبرئيل"[27].

وأهم المواضيع اللغوية التي عالجها البيضاوي:

---

[26] البيضاوي،أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 358.
[27] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 396.

التذكير والتأنيث، الإعلال والإبدال، الكلمات التي تحمل المعنى وضده، أو ما يسمّى بالأضداد، وهو نوع من المشترك في اللغة، الإشارة إلى اختلاف المصدر لاختلاف اللهجات، ويبدي اهتمامه بشيءٍ آخر، وهو ما يسمّى بتعليل المسميات، أي العلاقة بين الاسم والمسمّى، ويهتم بقضية الاشتقاق، وهو تشارك اللفظين في أكثر الحروف دون ترتيب، فيبيّن وجه التشابه بينهما مع وجود الفارق.

النحو عند البيضاوي:

والحقّ أن رحلة البيضاوي مع النحو كانت طويلة جداً، حتى صبغ تفسيره بصبغته.

فقد كان الحديث في النحو -عنده- يعد ركناً مهمّاً في بناء تفسيره. كان يعلم ما للإعراب خاصةً من فضلٍ وأهميةٍ لفهم كتاب الله سبحانه، والتوسع في معاني آياته.

ومن هذا المعنى انطلق البيضاوي، عندما نبّه على أهمية علم النحو في مقدمته، ثم جعله واقعاً في تفسيره، من خلال تحليلاته الدقيقة، وإلحاحه على بيان النكات البلاغية لوجوه الإعراب الكثيرة، فهو يصول ويجول في ثنايا الآي القرآني من خلال هذا العلم.

والناظر في تفسيره، سوف يهتدي سريعاً إلى أنه ينتمي إلى مدرسة البصرة، فهو يعالج المسائل النحوية على بصيرةٍ من قواعد البصريين، واستعماله لاصطلاحاتهم، وتطبيقه لقواعدهم، وتقديره لرجالاتهم، وفي مقدمتهم سيبويه، وامتثالاً لمنهج الاختصار، فسوف يكتفي البحث بإبراز أهم القضايا النحوية ومعالمها عند البيضاوي:

- فهو يكثر من الأوجه الإعرابية، إكثاراً يهدف إلى إبراز المعاني الكثيرة من خلال تلك الوجوه الإعرابية

- وطريقته في عرض آرائهم أنّه - في الغالب - يُخَرِّجُ القولين دون ذكره لأسمائهم.

- وأحياناً يجيز قول المدرستين، ولا يرى في اختلافهم إلا إغناءً للمعاني.

- وأحياناً يختار مذهب الكوفيين، وهذا دليل على عدم تعصبه، بل يمارس حريةً علميةً في الاختيار حسب نظرته ورؤيته.

- وأحياناً يقبل بعض الوجوه، ويرفض بعضها استناداً إلى القاعدة النحوية، فيذكرها حتى يطمئن القارئ لتحليلاته ووجوه الإعراب عنده.

- وهو ينأى بالقرآن عن تعسف التأويلات النحوية التي لا تخدم التفسير.

وعموماً فإن تفسير البيضاوي مليْءٌ بالقواعد النحوية وفوائدها، وكان همّه الأول هو مدى خدمتها في سبيل تجلية المعاني الكثيرة للآي القرآني، ولذا سَخَّر لهذه الغاية كل المصادر والقواعد الاحتجاجية من آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأشعارٍ وغيرها....

وهو ممن يقول بوجود الألفاظ ذات الأصول الأعجمية. فعند قوله تعالى: ((نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل)) [آل عمران: 3].

قال: ".... واشتقاقهما من (الوَرى)، و(النّجل)، ووزنهما بـ (تَفْعِلة) و(إفعيل) تعسّفٌ؛ لأنهما أعجميان. ويؤيد ذلك أنه قرئ: (الأنجيل) بفتح الهمزة، وهو ليس من أبنية العرب"[28].

البلاغة وعلومها عند البيضاوي

تعرف البلاغة بأنها تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارةٍ صحيحةٍ فصيحةٍ، لها في النفس أثر [29].

أولاً: علم المعاني:

وهو علم يُعْرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال، وهي تنحصر في ثمانية أبوابٍ، وكلُّ بابٍ يتنوّع إلى مسائل[30].

والبيضاوي بذوقه الرفيع عرف كيف يلج تلك الأبواب، وينهل من علومها ما يزين بها تفسيره، ويتحف قُرّاءه بسمو الكلام الرّباني.

فعند قوله تعالى: ((وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين)) (يونس: 87]، قال بعد فراغه من تفسيرها: "وإنما ثنّى الضمير أولاً، لأن التبوُّأ للقوم، واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاورٍ، ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد، والصلاة فيها ممّا ينبغي أن يفعله كل أحدٍ، ثمّ وحّدَ لأن

البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة"[31].وعموماً فإن رحلته مع مسائل علم المعاني كانت طويلة وممتعة.

ثانياً: علم البيان:

وهو علمٌ يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفةٍ في وضوح الدلالة عليه[32]، ويتضمن عدداً من المسائل، وممّا ورد عند البيضاوي:

- الاستعارة التمثيلية، الاستعارة التصريحية، الكناية، التشبيه التمثيلي، وهو تمثيل هيئةٍ معقولةٍ بهيئة متخيّلة.

---

28 البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 148.
29 الجارم، علي ،البلاغة الواضحة ص 9.
30 انظر:القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، تعليق : محمد خفاجي ،ط5 ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1980 ، ص 18.
31 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 444/1.
32 القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص64.

فعند قوله تعالى: ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون)) (الأنعام 125).قال بعد تفسيره للآية: "شبّهه مبالغةً في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه، فإن صعود السماء مثلٌ فيما يبعد عن الاستطاعة. ونبّه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود"[33].

علم البديع:

وهو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدّلالة[34]. وممّا ورد عند البيضاوي:

- اللفّ والنشر:

فعند بداية تفسيره لسورة (التوبة)، ذكر الأسماء الأخرى للسورة، ثم أعقبها بذكر المناسبة بين الاسم والمسمّى، حيث قال: "ولها أسماء أُخَر: التوبة، والمقَشْقِشة، والبَحوث، والمبعْثِرة، والمنقِّرة، والمثيرة، والحافِرة، والمـُخْزية، والفاضِحة، والمنكِّلة، والمشرِّدة، والمـَدْمدمة، وسورة العذاب لِما فيها من التوبة للمؤمنين، والقَشْقَشة من النفاق، وهي التبرؤ منه، والبَحْث عن حال المنافقين، والحفر عنها، وما يخزيهم، ويفضحهم، وينكّلهم، ويشردهم، ويدمدم عليهم"[35].ومما ورد عنده أيضاً: الالتفات، الجناس، المقابلة.

وبعد.... فلقد كان للبلاغة شأنها العظيم عند البيضاوي، فهي التي تتكفل بكشف المزيد من دلائل الإعجاز القرآني، وما تنطوي عليه التراكيب القرآنية من لطائف وإشاراتٍ وملح الأسرار، والتي تزيد الذين آمنوا إيماناً وتسليماً.

القراءات القرآنية:

وتتمثل طريقة البيضاوي في تناوله لجانب القراءات في أنه:

- يثبت في المتن قراءة الأكثرية، أي لا يلتزم بإثبات قراءة حفص عن عاصم -قراءة أهل الشرق الإسلامي- دائماً.

- والقرّاء عنده ثمانية، السبعة المتفق عليهم إضافةً إلى قراءة يعقوب الحضرمي.

---

33 البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 320.
34 القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص259.
35 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 394.

- أحياناً يطلق عليهم بعض الاصطلاحات الخاصة التي تدل على أعيانهم، مثل: الحجازيان، أو الحرميان، ويقصد بهما: ابن كثير المكي ونافع المدني، والبصريان: وهما: أبو عمرو بن العلاء البصري، ويعقوب الحضرمي، والكوفيون: وهم: عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب، وعلي بن حمزة الكسائي، والشامي وهو عبد الله بن عامر.

- إذا كانت اللفظة مما اختلف فيها القراء الثمانية، فإنه يذكر أسماءهم وكذلك رواتهم الذين رووا عنهم، كقالون، وورش، وقنبل وغيرهم.

- وكذلك أكثر من الاستشهاد بالقراءات الشاذة، وهي ما ثبتت روايته من طريق الآحاد، فهو ليس بقرآنٍ، لأن القرآن اسمٌ للمتواتر بلفظه ومعناه، وهو ما في المصحف الشريف.

- وكذلك استشهد البيضاوي بالقراءات الشاذة الأخرى، أو ما يسمّى بالأحرف المتروكة، وهي الأحرف التي أمر الخليفة عثمان بن عفان بحرقها، وهي التي تخالف المصحف الذي اجتمع عليه الصحابة كحرف أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعائشة وغيرهم. فقد كانت بها قراءات صحيحة، ولكنها أُحرقت؛ قطعاً للخلاف بموافقة جميع الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه، وبقيت هذه الأحرف محفوظةً في الصدور وتناقلها جيلٌ بعد جيل[36]. وأما البيضاوي، فقد تعرض لذكر هذه القراءات أسوةً بالشواذ.

إن كل هذه الأسماء التي سبقت ورد ذكرها عند البيضاوي، فالقراءات والاستشهاد بها شكّل جانباً رئيساً في تفسيره، ولو أنه في الغالب لا يسمِّيهم إلا نادراً خلا الثمانية، بل يذكرها -في الغالب- بصيغة المبني للمفعول، ولعلّه لم يفعل هذا لظنّه أنها غدت معروفةً، ولا يحتاج القارئ إلى استيضاحها، أو معرفة القارئ بها، أو أن صنيعه هذا يدل على عدم اهتمامه بالرواية بقدر اهتمامه بالاستشهاد بها والاحتجاج لها.

وتوجيه القراءات هدفه الأسمى، فهو يُسَخِّر القراءات لأغراضٍ أخرى من خلال ثقافته الواسعة. فعند قوله تعالى: ((إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين))[الأنفال: 9]، قال: "متبعين المؤمنين، أو بعضهم بعضاً، من: أَرْدفتُه أنا إذا جئت بعده، أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين، أو أنفسهم المؤمنين، من: أَرْدَفته إيّاه فَرَدِفَه. وقرأ نافع ويعقوب (مردَفين) بفتح الدال، أي: مُتَّبَعين، أو مُتْبَعين، بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم. وقُرئ (مُرِدِّفين) بكسر الراء وضمّها، وأصله: مُرْتدفين، بمعنى

[36] ينظر:د. سلطاني محمد علي قواعد الاحتجاج النحوي ،بحوث قدمت لكلية أصول الدين في دمشق ، 1997 ،ص1.

مترادفين، فأدغمت التاء في الدّال، فالتقى ساكنان، فحركت الراء بالكسر على الأصل، أو بالضم على الإتباع"[37].

- والبيضاوي يرجّح قراءةً على أخرى، ويبيّن سبب الترجيح، سواء أكان نحوياً أم بلاغياً، أسوةً ببقية المفسرين، لا سيما الزمخشري، الذي أكد أن القرآن فيه البليغ والأبلغ والوكيد والأوكد، فعند قوله تعالى ((إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنودٍ لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيزٌ حكيمٌ)) [التوبة: 40]، قال عن (وكلمةُ)-: "وقرأ يعقوب (وكلمةَ الله)، والرفع أبلغ؛ لِما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها، وإنْ فاق غيرُها فلا ثبات لتفوّقه ولا اعتبار، ولذلك وسّط الفصل"[38].

- والشيء الذي لم تظهر قيمته العلمية عند البيضاوي في منهجه مع القراءات الشاذة، هو ما كان يورد منها دون توجيه، أو حتى تعقيبٍ بالكلام، ولا شك أن هنالك كتباً أفردت بالقراءات الشاذة، ولا يستحب ذكرها في التفسير.

وعموماً فإن للقراءات القرآنية مكانَتها الكبيرة في التفسير، لا سيما التفاسير التي اعتمدت الرأي، لذا أبدى البيضاوي عنايةً ملحوظةً بمختلف القراءات، المتواترة والشاذة، وسخّرها – ما استطاع إلى ذلك – في سبيل مدّ التفسير بمعانٍ جديدةٍ.

الإسرائيليات:

البيضاوي رحمه الله من المقلّين للرواية الإسرائيلية، فهو لا يوردها إلاّ نادراً، فضلاً عن أنه يصدّرها بصيغة التمريض، التي توحي إلى عدم صحتها، وربّما علّق عليها.

فعند قوله تعالى: ((أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهو يُخلقون. ولايستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون)) [الأعراف: 191–192]، قال: "وقيل: لما حملتْ حوّاء أتاها إبليسُ في صورة رجل فقال لها ما يُدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب، وما يدريك من أين يخرج، فخافت من ذلك وذكرتْه لآدم فهمّا منه، ثمّ عاد إليها وقال: إني من الله بمنزلة، فإنْ دعوتُ

[37] البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 376.
[38] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 405.

الله أن يجعله خلْقاً مثلك ويَسهُل عليك خروجه تسمّيه عبد الحارث، وكان اسمه حارثاً في الملائكة، فتقبّلت، فلما ولدت سمته عبد الحارث. وأمثال ذلك لا يليق بالأنبياء"[39].

وعموماً فإن شيخنا البيضاوي – ههنا – يُحمد على عدم الإكثار من الرواية الإسرائيلية، وكذلك بتصدّره إياها بصيغٍ توحي للقارئ بضعفها، حتى لا يغترّ بها، أو يبني عليها أحكاماً.

أسباب النزول:

وهو في منهجه يسوق الرواية بطولها أحياناً، وأحياناً يختصرها. وهو إذ يذكر الأسباب فإنه يذكر ما صح وكذلك ما لم يصح.

فمّما ورد عنده متفقاً مع الصحاح: عند قوله تعالى: ((يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول...)) [الأنفال: 1]، قال بعد تفسيره للآية: "وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدرٍ أنها كيف تُقَسّم، ومن يقسّم: المهاجرون منهم أو الأنصار".[40]

وأحياناً يورد البيضاوي عند آيةٍ ما أكثر من روايةٍ، ولكن عن طريق الجمع بينها ليوحى للقارئ بأنها رواية واحدة، ومن خلال التحقيق والتخريج لتلك الروايات يتبيّن أنها أكثر من رواية، ففيها الصحيح، وفيها غير الصحيح. فعند قوله تعالى: ((الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لايجدون إلا جهدهم فيَسْخرون منهم سَخِر الله منهم ولهم عذابٌ أليمٌ)) [التوبة: 79]، قال بعد تفسيره للآية: "روي أنّه صلى الله عليه وسلم حثّ على الصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهمٍ وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضتُ ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» فبارك الله له حتى صُولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهمٍ، وتصدّق عاصم بن عدي بمائة وَسْق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمرٍ فقال: بِتّ ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات، فلمزهم

المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياءً، ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحبّ أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت"[41].

---

39 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 371.

40 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 374. الحديث أخرجه أحمد في المسند 5/ 323 (22814) ، والحاكم في المستدرك، كتاب : الفيء 2/ 135 (2607) وابن حبان في صحيحه ، كتاب : السير ، باب :الغلول _ ذكر الأخبار بأن الغال يكون غلوله في القيامة عاراً عليه. زصححه الحاكم على شرط مسلم ، وله شواهد. وذكره الهيثمي في المجمع 7/ 99 ، وقال : رجاله ثقات.

والحقّ أن شيخنا البيضاوي كان يحتاج إلى مراجعة الكتب الحديثية الصحيحة، وما جاء فيها فهو أنسب لمكانته العلمية، وما كان ينبغي أن يعتمد في مثل هذه الروايات غيره من المفسرين، وفي مقدمتهم الزمخشري.

معرفة المكي والمدني:

وهو علم ضروري في علوم الدين عامةً، ولمن أراد تفسير كتاب الله خاصةً، لمِا ينبني عليه بعض الأمور.

وكان شيخنا البيضاوي ممن اهتم بهذا العلم اهتماماً يؤدي به الغرض المطلوب، فقبل شروعه في تفسير السورة يذكر بين يديها إنْ كانت مكيةً أو مدنيةً، أو ما الآياتُ المستثناة من المجموع الكلي، وهو في تناوله لهذا العلم يقف عند الرواية، ولا يتعداها إلى التحقيق والتحرير.

فعند شروعه في تفسير سورة التوبة قال: سورة براءة مدنيةٌ، وقيل إلا آيتين، من قوله(لقد جاءكم رسول...) (128)، وهي آخر ما نزل[42].

- وعند شروعه في تفسير سورة (الأنفال) قال: "سورة الأنفال مدنية وآياتها ستٌّ وسبعون"[43].

هكذا يكتفي البيضاوي في القول بكونها مكيةً أو مدنيةً، على الرغم من وجود أقوالٍ أخرى فيها، ولو أنها مرجوحة.

الناسخ والمنسوخ

المقصود بهذا العلم: هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجهٍ لولاه لكان ثابتاً به مع تراخيه عنه[44].

---

41 هذا الخبر ورد بألفاظٍ مختلفةٍ من وجوهٍ متعددةٍ ، فقد أخرج قصة عبدالرحمن بن عوف وعاصم...الطبريُ، جامع البيان في تأويل آي القرآن 14/ 387 (17012) عن ابن عباسٍ ، وفيه انقطاعٌ بين علي بن أبي طلحة وابن عباسٍ.وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص1850 برقم 10504) ورجالُه ثقات إلا المثنى بن إبراهيم الآملي شيخ الطبري ، فلم أجد من ترجم له. وهذا الحديث وصله طالوت بن عباد عند البزار وابن مردويه – كما- عند السيوطي - في الدر المنثور (4/ 249) فقال : بهذا الإسناد عن أبي سلمة عن أبي هريرة (وطالوت صدوق ، الجرح والتعديل 4/ 495). إذن كثرة طرقه وخلوه من الضعف الشديد يرتقي به إلى الحسن لغيره.وينظر كلام الهيثمي في مجمع الزوائد 7/ 109.وأما قصة تصدق أبي عقيلٍ ففي الصحيحين ، البخاري في كتاب : التفسير ، سورة التوبة – باب : قوله (الذين يلمزون المطوعين) 3/ 1607 (4391) ، ومسلم في الزكاة ،باب : الحمل بأجرةٍ يتصدق بها 2/ 706 (27/ 1018) كلاهما من طريق الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود.

42 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 394.

43 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 374.

وهذا العلم وثيق الصلة بالمكي والمدني.

والحقّ أن منهج البيضاوي في النسخ اتضح كثيراً عند تفسيره لقوله تعالى: ((ما ننسخ من آيةٍ أو ننسها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيءٍ قديرٌ)) [البقرة: 106].

فبدأ بذكر سبب النزول، وهو ما قاله المشركون، أو اليهود: ألا ترون إلى محمدٍ يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه، ويأمر بخلافه...

ثم عرّف النسخ لغةً واصطلاحاً، وجاء تعريفه شاملاً لأنواع النّسخ الثلاثة؛ أعني: المنسوخ حكماً وتلاوةً، والمنسوخ حكماً وباقٍ تلاوته، والمنسوخ تلاوةً مع بقاء الحكم.

ثم بيّن الحِكمة من النسخ، وأنّه رحمةٌ للعباد ومراعاةٌ لمصالحهم.

وبعدها ردّ على مَنْ منع النسخ بلا بدلٍ، قائلاً: قد يكون عدمُ البدل أصلحَ لهم.

وكذلك ردّ على الذين اشترطوا أنْ يكون الناسخُ أخفَّ من المنسوخ، وجوّز نسخ السنة للقرآن، لأنّ السّنّة أيضاً وحيٌ، سوى ما كان خبرَ آحادٍ، فعندئذ لا يُنسخ به القرآن. ثم ختم تفسير السورة بالردِّ على المعتزلة القائلين بحدوث القرآن، وأنّ التغيير والتبديل من لوازم الحادث، قائلاً: بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم[45].

ولقد وقف البيضاوي عند بعض الآيات التي ورد فيها النسخ، وأيّد القول بنسخها، أحياناً بمناقشتها، وأحياناً يوردها دون تعقيب.

فعند قوله تعالى: ((إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعةٌ حرمٌ ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً واعلموا أن الله مع المتقين)) [التوبة: 36]، قال بعد تفسيره للآية: "... والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة. وأوّلوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهنّ، فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام، وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم وفي الأشهر الحرم إلا أن يُقاتَلوا، ويؤيد الأول ما روي أنه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف، وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة[46].

---

[44] انظر:الرازي ، فخرالدين ، المحصول في علم الأصول ، ت : جابر العلواني ،ط2 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة 1992 ، ج 282/3، السبكي،جمع الجوامع (بحاشية : البدر الطالع لجلال الدين المحلي)، ت : مرتضى الداغستاني ،ط1 ، دمشق ، مؤسسة الرسالة ، ناشرون ، 2005 ، ج449/1.

[45] البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 55.

[46] البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 404.

الفقه وأصوله عند البيضاوي:

أولاً: الفقه:

يُعد البيضاوي من كبار الفقهاء، وكتابه (الغاية القصوى) خير دليلٍ على ذلك. لذا لم يمنعه اهتمامُه بقضايا العقيدة وعلوم اللغة من أنْ يهتمَّ بالقضايا الفقهية أبداً، بل وقف عند تلك الآيات وعالجها معالجةً فقهيةً تنمّ عن شخصيةٍ مستوعبةٍ لكلّ قضاياه، وعندما كان يختصر في الغالب، فلأنه لا يريد أن يبتعد عن الغاية الكبرى للتفسير، ولا يريد أن يسوّد صفحات تفسيره باختلافات الفقهاء وأدلتهم، وما يتفرّع عن ذلك، فليس الكتاب كتاب فقهٍ مقارنٍ.

وهو شافعي، وليس هذا فحسب، بل كان مقتنعاً أنه من العلماء الشافعية الكبار الذين يؤخذ عنهم آراء الشافعية، يظهر هذا من خلال مصطلحاته الخاصة، التي تعكس مدى اعتداده بمكانته في المذهب، وأنه عضو رئيس في المدرسة الشافعية، فهو عندما يريد توضيح آرائهم، يصدّرها بقوله (قال أصحابنا) و(عندنا) و(لنا).

- ومنهجه في تناول الأحكام الفقهية:

- أنه أحياناً يذكر آراء جميع المذاهب الإسلامية (الفقهية)، أي يتعدّى الفقهاء الأربعة المشهورين، بل يذكر آراء فقهاء آخرين، من الذين لم تدوّن آراؤهم في مصنفاتٍ مستقلة.

فعند قوله تعالى: ((والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبيرٌ))[المجادلة: 3]، قال: "أي: إلى قولهم بالتدارك، ومنه المثل: عاد الغيث على ما أفسد، وهو بنقض ما يقتضيه، وذلك عند الشافعي بإمساك المظاهر عنها في النكاح زماناً يمكنه مفارقتها فيه، إذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه، وهو أقل ما ينتقض به، وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها، ولو بنظرة شهوة، وعند مالك بالعزم على الجماع، وعند الحسن بالجماع، أو بالظهار في الإسلام، على أن قوله (يعودون) بمعنى: يعتادون الظهار، إذ كانوا يظاهرون في الجاهلية، وهو قول الثوري، أو بتكراره لفظاً، وهو قول الظاهرية، أو معنىً بأنْ يحلف على ما قال، وهو قول أبي مسلم، أو إلى المقول فيها بإمساكها أو استباحة استمتاعها أو وطئها"[47].

أقول: إن الإتيان بأقوال الأئمة الأربعة، أو غيرهم أمرٌ غيرُ مطّرد عند البيضاوي، بل الشيء الغالب عنده - من الناحية الفقهية - هو الاقتصار على آراء مذهبي الشافعية والحنفية، وأحياناً يعرج إلى بيان رأي المالكية.

الخاتمة:

[47] عند تفسير لسورة المجادلة.

وهكذا.....بعد العيش مع تفسير البيضاوي، والذي شمل أكثر السور، لابد أن نلخص للقارئ ما يصبو إليه من معرفة شاملة لمنهج البيضاوي، تجمع شتاته وتبرز أهم ما جاء في البحث، فأقول:

إن البيضاوي في تفسيره قد زاوج بين المنهجين العلميين في التفسير وهما المنهج النقلي والمنهج العقلي.

إن البيضاوي أفاد ممن سبقه من المفسرين إلا أنه كان يجيد فن الإفادة، ولم يكن حاطب ليلٍ، بل تمتع بعقلية حرة لها حضورها المميز.

إنه لم يعطِ علم الحديث وأصوله حقه في البحث والتحرير والتحري.

توسع في بعض القضايا مثل علم النحو والجوانب العقدية والتي كان من أبرز مظاهرها الرد على المخالفين.

كان - رحمه الله - من المؤولين لآيات الصفات، وهو بذلك يمثل متأخري المنهج الأشعري.

كان البيضاوي الابن البار لبيئته والممثل العلمي لعصره، وللبقاع تأثير في الطباع.

المصادر والمراجع

الأشعري، أبو الحسن بن علي بن إسماعيل بن أبي بشر،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح(هلموت رتبرفيسبادين)، 1980،ط3 .

الإيجي ،أبوالفضل عضدالدين بن عبدالرحمن بن أحمد ،المواقف في علم الكلام ،دمشق ، مكتبة سعدالدين، (د. ت).

البخاري ،أبو عبدالله محمد بن إسماعيل،الجامع الصحيح.....،ت:مصطفى البغا ،دارالعلوم الإنسانية ،1993،ط2 .

ابن أبي حاتم ،أبو محمد الرازي ،الجرح والتعديل ،بيروت، دار إحياء التراث العربي ،1952،ط1 .

ابن أبي حاتم ،أبو محمد الرازي ،التفسير، ت:أسعد محمد الطيب، الرياض، مكتبة نزار الباز،1997 ،ط1 .

ابن الجوزي ،جمال الدين عبدالرحمن بن علي، ت:عبدالرحمن عثمان، المدينة المنورة ،محمدعبدالمحسن،1986،ط1 .

ابن حجر العسقلاني ،شهاب الدين أحمد بن علي، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، ضبطه:مصطفى أحمد مطبعة القاهرة ،1953،ط1 .

ابن خلدون ،عبدالرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي الأشبيلي ، مقدمة ابن خلدون، ت(أبو مازن المصري وكمال فهمي)، القاهرة، المكتبة التوفيقية، 1998.

ابن شاكر الكتبي ،محمد بن شاكر بن أحمد عيون التواريخ ت (حسام الدين المقدسي)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1980،ج (21) عن الغاية القصوى ، للبيضاوي ت: علي القرداغي، القاهرة، دار النصر، 1982 ،المقدمة

البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ت(علي البجاوي) ، بيروت، دار المعرفة، 1954،ط1 .

البيضاوي ،أبو سعيد نصرالدين عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دارالكتب العلمية 2003 ،ط1.

البيضاوي ،أبوسعيد نصرالدين عبدالله بن عمر، طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، ت(عباس سليمان)القاهرة، المكتبة الأزهرية، 2007،ط1 .

الحاكم النيسابوري،أبو عبدالله محمد بن عبدالله ،ت: يوسف المرعشلي ، بيروت ، دار المعرفة ، 1970 .

الزركشي ،بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن (ت: يوسف المرعشلي وآخرون)، بيروت، دار المعرفة، 1994،ط2 .

الحموي ياقوت ،شهاب الدين أبو عبدالله ، معجم البلدان ،بيروت، دار صادر، 1977.

الخفاجي ،أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي ،المسمى (عناية القاضي وكفاية الراضي)، بيروت، دار صادر، (د. ت).

خليفة حاجي ،مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي القسطنطيني ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت / دار الفكر، 1982.

الرازي فخرالدين أبوعبدالله محمد بن عمر بن الحسين، ا لمحصول في علم الأصول ت:(جابر العلواني) بيروت، مؤسسة الرسالة 1992،ط2.

السبكي ،أبونصر تاج الدين ابن السبكي عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ،جمع الجوامع (بحاشية البدر الطالع لجلال الدين المحلي)، ت(مرتضى الداغستاني) ، دمشق، مؤسسة الرسالة، ناشرون،ط1 .

السبكي ،أبونصر تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ،طبقات الشافعية الكبرى ت(محمود الطناحي ود. عبدالفتاح الحلو)، القاهرة، دار هجر،1992، ط1 .

سلطاني محمد علي، قواعد الاحتجاج النحوي ،بحوث قدمت لكلية أصول الدين في دمشق، 1997.

السيوطي،أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،ت: عبدالله التركي ، بيروت، دار الفكر ،1983،ط1 .

السيوطي ،أبوالفضل جلال الدين عبدالرحمن، بغية الوعاةفي طبقات اللغويين والنحاة ،ت(محمد إبراهيم) ط عيسى الحلبي (د. ت)، ص227 .

السيوطي ،أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، لب الألباب في تحرير الأنساب ، ت(محمد عبدالعزيز) بيروت، دار الكتب العلمية، 1991 .

الشناوي وآخرون (إعداد)، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة عن (الفرنسية والانكليزية)، ، بيروت، دار المعرفة، 1933

الصفدي ،صلاح الدين أبوالصفاء خليل بن أيبك الألبكي الفاري، الوافي بالوفيات ، اعتناء(هلموت رتير و آخرين) شتوتغارت، دار فوانزشتايزفيسبادن، 1962.

الطبري ،محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن ،ت: محمود وأحمد شاكر ،القاهرة ،مكتبة ابن تيمية (د. ت).

عبدالحميد محسن :الرازي مفسراً: (رسالة دكتوراه) ، بغداد، دار الحرية، 1974

القزويني ،حمدالله بن أبي بكر بن أحمد الحمدالله ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تعليق: محمد خفاجي بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980،ط5 .

مسلم ،أبوالحسن مسلم ابن حجاج النيسابوري، الجامع الصحيح....،ت: محمد فؤاد عبدالباقي،دار إحياء التراث العربي 1985 .

المناوي، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين، الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي، ت: أحمد مجتبى السلفي ، الرياض ،دار العاصمة .

الهيثمي ،أبو الحسن نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،ت:عبدالله الدرويش ،بيروت، دار الفكر 1994 .

Seçilmiş Kaynakça

Beyzâvî, Ebû Saîd Nasırüddin Abdullah b. Ömer b. Muhammed (685/1286), *Envarü't-tenzil ve esrarü't-te'vil,* 1.baskı, Daru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut 2003.

_____,*Tavâli'u'l-envâr min matâli'i'l-enzâr*, (thk. Abbas Süleyman), 1.baskın, el-Mektebetü'l-Ezheriyye Kahire 2007.

Abdülhamid, Muhsin, *er-Râzî müfessiren*, (Doktora tezi), Daru'l-Hürriyye, Bağdat 1974.

Hafaci, Ebü'l-Abbas Şehabeddin Ahmed b. Muhammed b. Ömer (1069/1659), *Hâşiyetü'ş-Şihab ala Tefsir'l-Beyzavi = İnayetü'l-Kadi ve kifayetü'r-Razi = Hâşiye ala Tefsiri'l-Beyzavî*, Daru's-Sadr, Beyrut t.y.

Kazvini, Hamdullah b. Ebî Bekr b. Ahmed el- Hamdullah Müstevfi (750/1350), *el-İzah fi ulumi'l-belaga***,** 5. Baskı, Dârü'l-Kitabi'l-Lübnanî, Beyrut 1980.

Suyutî, Ebü'l-Fazl Celaleddin Abdurrahman b. Ebî Bekr (911/1505), *Buğyatu'l-vu'ât fi tabakâti'l-luğaviyyîn ve'n-nuhât,* (thk. Muhammed İbrahim), y.y. t.y.

Sübkî, Ebû Nasr Taceddin İbnü's-Sübki Abdülvehhab b. Ali b. Abdülkafi (771/1370), *Cem'u'l-cevâmi',* (Mahalli'nin Bedru't-tâli' haşiyesiyle), (thk. Marzî ed-Dağıstanî), 1.baskı, Müessesetu'r-Risale, Dımaşk t.y.

_____,*Tabakatü'ş-Şafiiyyeti'l-kübra*, (thk. Mahmûd Muhammed Tanahi-Abdülfettah Muhammed el-Hulv), 2.baskı, Daru'l-Hicr, Kahire 1992.

Zerkeşî, Bedreddin Muhammed b. Abdullah (794/1392), *el-Burhan fi ulumi'l-Kur'ân*, (thk. Yusuf el-Mar'aşlî ve diğerleri), 2.baskı, Daru'l-Ma'rife, Beyrut 1994.